د. محمد محمود الإمام ، تجارب التكامل العالمية ومغزاها للتكامل العربى

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٤ – ٧٣٠ صفحة

وجيدة سمير عيسى*

Al-Nahda

A Quarterly Journal Published by the Faculty of Economics and Political Science, Cairo University, Egypt

Subscription Order

Full Name: .....
Address : .....
.....
Tel. :..... Fax:..... E-mail Address:.....
Year of Subscription :..... From : / / 2005 Number of Copies:(.....)
I enclose a cheque no. (.....)
Of (.....) US Dollars made Payable to"The Editor– in–Chief of Nahdha"

Send Subscription Order To This Address : Faculty of Economics & Political Science , Cairo University , Orman- Giza-12613 Egypt, Tel :(202)5676500–5698895

اما القسم الرابع فيتناول المعالم الأساسية للتجارب العربية، وفي القسم الخامس يحلل المؤلف خلاصة تجارب التكامل ومغزاها بالنسبة للوطن العربي، حيث يعرض في الفصل السابع عشر لتجارب

*باحثة علوم سياسية ؛ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة، مصر.

التكامل بين الدول النامية، أما الفصل الثامن عشر فيتناول خصائص التكامل العربي في ضوء التجارب العالمية، وفي القسم السادس يقدم خاتمة تهدف لبناء مشروع لتطوير التكامل العربي.

يبدا الكتاب بمقدمة تتناول أهم التطورات التي لحقت بالنظام الدولي وأساليب إدارة شئون الدول خلال القرن العشرين والتي مثلت دافعا لإقامة التكتلات الإقليمية. وذلك بدافع تلافي استخدام القوة المسلحة في العلاقات الدولية وكذا بدافع تخلص الدول الناشئة من الاستعمار وبناء التنمية الاقتصادية المرجوة.

كذلك يتناول الكتاب في الخلاصة التطبيقية، دواعي دراسة تجارب التكامل الاقليمي في ظل متغيرات العولمة وما تستدعيه من تجارة حرة وتلاشي الفارق بين الداخلي والخارجي في العلاقات الدولية. كما تتناول أهم المشكلات التي واجهت الدراسة وأهم أهدافها.

وسوف نتناول بالتفصيل أهم الأفكار والموضوعات التي تناولها الكتاب:

في القسم الاول: يستعرض تجارب الدول الإفريقية، وقد تم تقسيم هذه التجارب إلى أربع مراحل، الأولى وتم خلالها إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٤ متناولاً أهم الصعوبات وتأثيرها على شكل التنظيم ومنها الخبرة الاستعمارية وإرثها الثقيل من الفقر والتخلف.

ويتناول هذا القسم كذلك تجارب التكامل على المستوى القاري والأدنى منه، وكان من أبرز الاتجاهات في هذا الصدد: خطة لاغوس ١٩٨٠ لتحرير التجارة البينية، وإقامة سوق أفريقية مشتركة. وعلى المستوى الإقليمي كان هناك: الإيكاس، وايكواس، والكوميسا، وكياو ويهدفون لإقامة سوق مشتركة. أما السادك والإتحاد المغاربي والأورياس فيهدفون لإقامة إتحاد جمركي.

وقد تم إلقاء الضوء على أهم الأسباب المسئولة عن فشل هذه التجارب في تحقيق أهدافها، والتي تنقسم ما بين عوامل سياسية، وعوامل متعلقة بالاطار المؤسسي، وعوامل متعلقة بطبيعة الإقتصاد الأفريقي، والاقتصاد الدولي. كما يتم إلقاء الضوء خلال هذا القسم على أهم محاولات تلافي العيوب والأخطاء في تلك التنظيمات بالنظر في التعديلات والإصلاحات في منهج عملها تطبيقًا على الكوميسا والسادك والساكو والايكواس.

في القسم الثاني: تجارب الدول الآسيوية والباسيفيكية وتقدم هذه التجارب مفهوم جديد مغاير لما قدمته التجارب العربية والإفريقية (التي تشكلت في اطار ما اسمي بالتكامل). أما هذه التجارب فكانت رائدة في تقديم مفهوم (التعاون الاقليمي) وما يشمله من دلالات متعلقة بإمكانية إقامة تعاون مع تنظيمات وكيانات خارجية مثل كندا والولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي.

ويتناول القسم إضافة إلى ذلك آليات التعاون بين دول هذه المنطقة ليشمل التعاون الصناعي، والتعاون في القطاعات الإنتاجية والتعاون في القطاعات الخدمية. كما يتناول هذا القسم صيغ التعاون الاقليمي، والترتيبات التجارية والنقدية، وأهم الخطوات التي تم اتخاذها من خلال الترتيبات التفضيلية في التعاون الخارجي.

أما في القسم الثالث من الدراسة والمعنون (تجارب التكامل في نصف الكرة الغربي) ويقصد بنصف الكرة الغربي هنا أمريكا الشمالية والجنوبية والوسطى وإقليم الكاريبي، ويستعرض خلاله أهم الظروف السياسية والاقتصادية التي اعترضت محاولات التكامل في هذه المنطقة وانعكاساتها على بنية الأطر المؤسسية التي تشكلت فيها، وأهم سماتها وخصائصها، ومن هذه الخصائص التبعية. كذلك يتناول القسم جهود التكامل في الانتاج الصناعي وتحرير التجارة والتعاون المالي.

وفي القسم الرابع (خلاصة التجارب العالمية) ويفرد فيه المؤلف جزء خاص بالتجارب الأوروبية باعتبارها تجارب رائدة في هذا المجال علاوة على جزء آخر خاص بالدول النامية.

وفيما يتعلق بالتجارب الأوروبية، تم تناول تجربة الإتحاد الأوروبي على وجه الخصوص، وذلك في المجالات الاقتصادية والسياسية والأمنية. وتم التطرق لأهم دلالات هذه التجربة بالنسبة للتجربة العربية والسعي لإقامة وحدة إقليمية عربية.

وفيما يتعلق بخلاصة تجارب الدول النامية، وأهم الصعوبات التي اعترضت طريق تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية بالعودة للأسباب السياسية التي تقود دوما قطار الفشل علاوة على أسباب تأسيسية مع ملاحظة غياب مراعاة البعد الاجتماعي في إقامة هذه التنظيمات.

وفي القسم الخامس فيتم تناول "التكامل العربي ووسائل تطويره" ويتناول خلاله معالم التجارب العربية وعلاقتها بفشل هذه التجارب. أما في الجزء الثاني، عناصر المشروع العربي المقترح مستفيدا من الخبرة العربية السابقة لتجنب أهم عوامل النكوص والمعوقات وباستحضار عوامل النجاح في التجارب الأخرى وعلى رأسها تجربة الإتحاد الأوروبي.

ومن الملاحظ أن الكتاب يستعرض من خلال أقسامه الستة، وذلك في ثمانية عشر فصلًا، تجارب التكامل التي تمت في مختلف مناطق العالم للاستفادة منها في نجاح النموذج العربي للتكامل، الذي فشل على مدار أكثر من نصف قرن في عبور عنق الزجاجة وتحقيق التنمية، وهو الأمر الذي يعد سببًا ونتيجة في الوقت نفسه لمجموعة من الأسباب السياسية والاقتصادية والداخلية الكامنة في بنية النظم العربية. وذلك علاوة على مجموعة أخرى من العوامل الخارجية.

ويبدأ القسم الأول باستعراض التجربة الأفريقية في التعاون والتكامل ثم يقترب من تجارب التكامل في أكبر قارة (آسيا) ليعرج بعدها إلى تجارب التكامل في أمريكا ثم التجارب الأوروبية مارًا بالتجربة العربية ليتعرض لأهم معالمها. كذلك يتناول خلاصة تجارب التكامل في دول العالم النامي ثم يفصل في خصائص التكامل العربي في ضوء التجارب العالمية ليتناول في الخاتمة رسم استراتيجية لمشروع تطوير التكامل العربي.

جدير بالذكر أن هذا الكتاب كان بمبادرة من مركز دراسات الوحدة العربية، رغبة من القائمين عليه في وضع دراسة أولية للتجربة الأوروبية، وامتد ليشمل بعد ذلك بدون تحيز كل تجارب التكامل في العالم وذلك لوضع خطة لمشروع عربي للتكامل الإقليمي.

ويكشف الكتاب عن الظروف التي حلت في القرن العشرين، وحثت الدول والأقاليم المختلفة على التكتل والتكامل، وأهم هذه الأسباب بالنسبة لدول العالم الثالث: كمواجهة الاستعمار والتكتل في مواجهته، وبناء التنمية الاقتصادية في طريق الاستقلال. أما بالنسبة لدوافع دول العالم الصناعي، فكانت الرغبة في إقرار التنمية الاقتصادية وإحلال السلم محل استخدام القوة في العلاقات الدولية بعد حربين عالميتين عانى خلالها الاقتصاد الدولي من العديد من الكوارث والأزمات، وتم تهديد مصالح القوى الاقتصادية الكبرى. ولعله نفس المبدأ الذي تم إقراره في ميثاق الأمم المتحدة والمتعلق بالعمل على إقرار السلم والأمن ومنع استخدام القوة في العلاقات الدولية.

ويكشف الكتاب عن إشكالية، نقل نموذج تنموي معين لتطبيقه في مكان خر، وما يؤدي إليه من مشكلة التطبيق وهو ما أكدته بعض تجارب دول العالم النامي، حيث تم التطبيق سواء من خلال علاقات التبعية بين الدول الأقوى والدول حديثة النشأة أو من خلال فرض تجارب تنموية معينة على نفس هذه المجموعة من خلال برامج المؤسسات الدولية التي تعمل على تنميط تجارب التنمية في دول العالم النامي، وفرض مظاهر العولمة الاقتصادية، وتعميم برامج الخصخصة كشرط يحول عدم تحقيقه دون الحصول على قروض وبرامج المساعدات الدولية للنهوض بهذه الاقتصادات النامية.

وهو ما ألقى بظلاله على عدم إمكانية نجاح تجارب التكامل في ظل العلاقة الثنائية بين كل دولة نامية وقوة كبرى سواء تمثلت في دولة استعمارية سابقة (فرنسا – ألمانيا – الولايات المتحدة – بريطانيا) أو مؤسسة دولية تقوم على تنفيذ رغبات القوى الكبرى مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمنظمات التابعة للأمم المتحدة.

جدير بالذكر ان الكتاب يعتمد منهجا جغرافيا في تقسيم الدراسة وطريقة تناولها وذلك لتولد هذه التجارب في إطار قاري.

وفي جميع أقسام الدراسة، تم تناول كل منها مع عرض لما توقف منها وأسباب توقفه وما طرأ عليها من تطورات، إلى جانب وصف المعالم الأساسية لكل تجربة وأهدافها، بالتركيز على أركان أساسية، هي: الإطار التنظيمي، والموقف من قضية التكامل التجاري، وجوانب التكامل والتعاون الإقتصادي الأخرى والتعاون الوظيفي في المجالات التي تخدم قضايا التكامل والتنمية. ويجري توضيح الأوزان التي أعطيت لكل من هذه الجوانب وعلاقتها ببعضها البعض موضوعيًا وزمنيًا، مع تحليل تطور هذه العلاقات مع تطور الترتيبات ذاتها. وينتهي كل قسم بتقييم للتجارب التي تناولها، حتى يسهل تبين اوجه الشبه والاختلاف مع تفادي ما قد يحدث اذا ما اجري التقييم على كل تجربة على حدة، وتكتمل بهذا تجارب العالم الثالث.

ومن أهم النقاط التي كشفت عنها الدراسة في تجارب العالم الثالث:

- يوجد في القارة الأفريقية أقدم ترتيب تكاملي قائم في العالم وهو المعروف بـــ " الإتحاد الجمركي لإفريقيا الجنوبية (ساكو). والذي أنشئ عام ١٩١٠م.

- التداخل بين العوامل السياسية والاقتصادية في تجارب التكامل. فقد انعكس تخلف دول العالم النامي في تجربتها الديمقراطية على محاولات التكامل، بينما سهلت التجربة الديمقراطية الأوروبية من تخليق المؤسسات والأطر التنظيمية التي من خلالها يتم التكامل وتداوله بشكل متحضر.
- إنعكاس الإرث من التخلف الاقتصادي والإجتماعي والسياسي والثقافي على تعطيل مسيرة التكامل في دول العالم النامي وقارة إفريقيا.
- دور المؤسسات الدولية في تنميط التنمية بما شكل عقبة جديدة في طريق التكامل في دول العالم النامي وهو جزء من العولمة الاقتصادية.
- غفلة دول الجنوب عمومًا عن البعد الإجتماعي في عملية التكامل، وهو ما لم تغفله التجربة الأوروبية عن طريق إنشاء صندوق إجتماعي وبنك استثمار أوروبي، وهو أحد أهم أسباب نجاحها.
- تقدم تجارب آسيا وتجمع حوض الباسيفيكي مفهوم جديد مغاير للذي طرحته التجربة العربية للتكامل، حيث قدمت مفهوم التعاون ليمتد ويسمح بتعاون خارجي مع تنظيمات وكيانات خارجية مثل الإتحاد الأوروبي وكندا والولايات المتحدة.
- دور مشروع مارشال في دعم تجارب التكامل الأوروبية، في الوقت الذي لم تجد فيه تجارب دول الجنوب أي دعم خارجي، وإن تواجدت العوامل المعيقة لها على نحو أكثر كثافة.